**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد.**

**فيسر إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالإسكندرية أن يقدموا لكم هذه المادة، والتي هي بعنوان "رجل لكل العصور"، لفضيلة الشيخ الدكتور: محمد إسماعيل، والآن نترككم مع فضيلة الشيخ.**

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، لا سيما عبده المصطفى وآله المستكملين الشرف، أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد،

ففيما يتعلق بما شرعنا فيه في الأسبوع الماضي، فيما يتعلق بالنصيحة الذهبية المنسوبة إلى الإمام الذهبي غلطًا أو قصدًا، هذه الرسالة القصيرة في الحقيقة كثيرًا ما أحرج السلفيون بسببها، وكانوا أحيانًا لا يحيرون جوابًا حتى أني أحاول أن أستدعي من الذاكرة العلامة الألباني رحمه الله تعالى يقول: هي بخط الذهبي، أو أن الذهبي هو الذي ألفها، وكأني على ما أذكر طبعًا علل ذلك بأن ذلك من شدة الضغط المعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية فكأنه اضطر لكتابة مثل هذه الرسالة.

كما قلنا من قبل قد يحتمل وجود رسالة بخط الإمام الذهبي، وكنا وجهنا ذلك من قبل أن يحتمل أنه نقلها من الرسالة الأصلية على أساس أنه يتفرغ بعد ذلك للرد عليها أو نحو ذلك، لأن له عدة احتمالات.

لكن في الحقيقة مما يقر العين ويشرح الصدر، أنه مع أننا الآن في زمان متأخر لكن الحقيقة أسباب العلم الآن صارت كثيرة وقوية بفضل بعث المخطوطات وكثرة التحقيقات ونشر كتب (02:16) ونحو ذلك، فرأينا بعض المسائل مما كان يؤذى به السلفيون أو يعيرون به مما يحقق ويخدم كما سنرى في هذه الرسالة التي ندرسها إن شاء الله تعالى.

نفس الشيء في قضية القول بفناء النار، وجد من البحوث الحديثة التي ألفها بعض أهل العلم ما رفع الإشكال تمامًا في هذه المسألة بحيث لم يبقى لأهل البدع طريق يطعنون به في إمام علم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الرسالة التي سندرها في الحقيقة لأنها غير منتشرة أنا أعتقد أنها رسالة نادرة وهذا الذي يحدو به نحاول أن نلخصه قدر المستطاع بأقصر وقت، لأنها غير متاحة للإخوة جميعهم، فمن ثم نتدارسها تسهيلًا للأمر، وهي بعنوان:

"أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي، النصيحة الذهبية لابن تيمية وتحقيق لصاحبها" لأبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي.

يذكر في المقدمة يقول وهذه دراسة جديدة لرسالة اشتهرت باسم النصيحة الذهبية لابن تيمية، ونسبت غلطًا أو قصدًا إلى الإمام الحافظ مؤخر الإسلام أبي عبد الله الذهبي المتوفى سنة 748 من الهجرة رحمة الله عليه، صاحب التصانيف البارعة التي خدم بها الحديث النبوي والعلوم الإسلامية، وحسبك دلالة على علو قدره في العلم أن الحافظ بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 قد شرب ماء زمزم لنيل مرتبته والكيل بمعيار فطنته.

ومنذ أن ظهرت هذه «النصيحة» إلى عالم المطبوعات قبل خمسٍ وسبعين سنة، طبعًا هي ظهرت على يد عدو السلفية الأول محمد زايد الكوثري، وفرح بها أشد الفرح ونشرها وأهدى نسخة منها إلى دار الكتب كي تبقى مصدرًا للحق على شيخ الإسلام باستمرار.

فمنذ أن ظهرت إلى عالم المطبوعات قبل 75 سنة وهي موضع جدال بين أهل الاختصاص، فمن مسلم بأن الذهبي أنشأها، ومن دافع في صدر هذا الزعم مشكك فيه، قائل بتزويره عليه، ولا ريب عندي أن الذهبي بريء من إرسالها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

إلا أن حديث التزوير والتنحُّل على مؤرخ الإسلام قد تراجع في دراستي هذه إلى الاحتمال الأخير، وتراجع معه الاحتمال المفظع، ألا وهو رمي واحد من نساخها الأعلام الثقات بتكذُّبها واختلاقها، وذلك بعد أن بدا لي واضحاً (البطائحي)، ودي من فرق الرفاعية الصوفية، الذي كتبها تَبَّت يده وأرسلها إلى شيخ الإسلام، في كثير من نمطها أغلب الظن، إلى أن يقول يذكر الباعث على النصيحة هذه، يقول: كان كتاب جامع كرامات الأنبياء للنبهاني.

النبهاني معروف عدو للسلفية ورد عليه أحد الأئمة الكبار، من يعرف اسم الكتاب؟ غاية الأماني في الرد على النبهاني، لمن؟ للشيخ العلامة الكبير محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى.

فكتاب جامع كرامات الأولياء للنبهاني، النبهاني توفي 1350 يقول: كان من مصادري التي رجعت إليها في دراستي عن القلندرية وتاريخها، فكان أن لفت انتباهي في مقدمته التي ذكر فيها مصادره قوله، يعني النبهاني وهو بيتكلم بقى يقول: وتفاح الأرواح، يعني من ضمن المصادر التي نقل منها في كتابه جمع كرامات الأولياء.

يقول: وتفاح الأرواح، لكمال الدين محمد بن أبي الحسن على السراج، الرفاعي القرشي الشافعي، من أهل القرن الثامن، كان معاصراً للسبكي وابن تيمية، وكتابه هذا مجلدان في كرامات الأولياء، وقع لي منه المجلد الأول فقط.

فقلت لنفسي ده اللي هو القعنوي مؤلف الكتاب، فقلت لنفسي: هذا رفاعي معاصر لشيخ الإسلام فلا يستبعد أن يعرض بالذكر له ولمن كان أبو العباس رحمه الله تعالى مسلطاً عليهم بتعبير الصفدي أعني زمر القلندرية، ولكن أين أقع على كتابه؟

يبقى دي أول شيء لفت نظره، هو كان بيعمل دراسة الصوفية القلندرية تاريخها وفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيها، فلما يبقرأ في من ضمن المراجع كتاب جمع الكرامات للأولياء، فالنبهاني في داخل الكتاب ذكر السراج الرفاعي من أهل القرن الثامن وقال في شأنه:

كان معاصراً للسبكي وابن تيمية **... إلى آخره، فهو توقع معاصر لابن تيمية، طبعًا دي طريقة اللي بيبحث في أي بحث في أي شيء حتى ولو بشبه قريب أو بعيد على طول لازم يقرأ ويرجع ويشوف يمكن**  تفيده بفائدة، هذا المعاصر لابن تيمية وهو كمان رفاعي يبقى هيفدني في البحث اللي هجمعه.

فقلت لنفسي: هذا رفاعي معاصر لشيخ الإسلام فلا يستبعد أن يعرض بالذكر له، يبقى لازم أشوف كتبه وأقرأها، يقول: ولكن أين أقع على كتابه اللي هو تفاح الأرواح، يقول: وكانت لي سفرة إلى الرياض، فلما جئتها قصدت أحد صروح المعرفة بها، وهو: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فخطر ببالي أن أسأل قسم المخطوطات به عن تفاح الأرواح هذا، فكانت المفاجأة الأولى قول الموظف القاعد على المحساب: هو بمكتبة الملك فهد الوطنية.

فلما حصلت على مصورة:(تفاح الأرواح) وطالعته، ألفيته أكثر أهمية مما تخيلت، وعلمت أن الذي لم يقف عليه النبهاني هو:(تشويق الأرواح) فأرسلت إلى المحقق وخبير المخطوطات التركي، الأستاذ: يوسف أوزبك أسأله أن يفتش عنه (باصطمبول) ولقد كانت المفاجأة الأخرى إذ هتفتُ به بعد أيام فقال لي: وجدت تشويق الأرواح فلما أن جاءتني نسخة منه، عرفت أني أدركت كنزاً في الموضوع الذي أنا بصدده وزيادة.

وكان مما تَبين لي حينها؛ أن مؤلف ذين الجزأين هو الرجل الذي تتجه إليه أصابع الاتهام بإنشاء: النصيحة الذهبية وإرسالها إلى أبي العباس بن تيمية رحمة الله عليه للقرائن التي في الكتاب بجزأيه، ولِما تحتويه النصيحة.

فعزمتُ على دراسة النصيحة وكلام ابن السراج في مؤلفه، وطلبتُ النسخة التي هي بخط ابن قاضي شهبة، وعلقت عليها بعض التعليقات، وفق الذي جدّ في المسألة، أبتغي بذلك تأكيد براءة الحافظ الذهبي منها.

احنا في لحقيقة مش بندافع بس عن ابن تيمية، احنا بندافع كمان عن الإمام الذهبي رحمه الله تعالى، وقبل ذلك كله عن المنهج الذي يمثله هذان الإمامان.

يقول: ذكر الدكتور بشار عواد معروف البغدادي أن النسخة التي هي بخط ابن قاضي شهبة في دار الكتب المصرية وقال إن منها نسخة بدار الكتب الظاهرية، ودي النسخة التي كان يملكها الكوثري، وعليها كان اعتماده لما نشرها سنة 1347هـ ثم أهداها إلى دار الكتب المذكورة، ولم ينس أن يلحق بها كلمة زاد بها وضر النصيحة وضراً، وأنا أسوقها لأمانة العلم:

يبقى الكوثري لما كتب مخطوطة بخطه عز عليه بقى لازم يزود حاجة كده بقى تزييد الأزية كده، فقال: كلمة في الرسالة التي بعث بها الحافظ الذهبي إلى الشيخ أحمد بن تيمية الحراني زود بقى ايه؟ تحذيراً له عن الإصرار في الشذوذ عن جماعة أهل العلم في مسائل خطرة.

وشرع الكوثري في قوله فدونك رسالة بعث بها الذهبي إلى أحمد بن تيمية الحراني ينصحه فيها ويحذره وعواقب إصراره عن الشذوذ عن جماعة أهل العلم في مسائل اعتقادية وعملية خطرة، كنت ظفرت بتلك الرسالة، شوف كلمة ظفرت الكوثري سعيد جدًا إنه لقى حاجة بتقدح في ابن تيمية على لسان الذهبي في زعمه يعني.

كنت ظفرت بتلك الرسالة منقولة بخط تقي بن قاضي شهبة **... إلى آخره** يعني، ثم ارتأيت إهداء الأصل إلى دار الكتب العربية الكبرى الملكية بمصر ليحفظ بها حتى يتمكن الباحثون من الاطلاع عليها متى شاءوا ذلك.

يقول: ولما استفحل أمر فِتَنِ ابن تيمية على تعاقب السنين، وأصبح علماء السنة إلباً واحداً ضده، ولم يبق معه سوى شيعته؛ من الحشوية كان الذهبي يبقى الذهبي كان بيحاول يدفع الفتنة فأحيانًا يشد على مين؟ على أعداء ابن تيمية إنهم يلطفوا شوية في حربهم عليه، ويدعوهم إلى تخفيف اللهجة له مراعاة لسعة علمه.

كما تلاحظوا حتى أعداء ابن تيمية لا يستطيعون أن ينكروا فضله في العلم، يعني أن الذهبي يقول: راعوا إن ده عالم كبير وإمام جليل وعلمه واسع، فتلطفوا في العبارة، وكأن المسألة مسألة الأسلوب مش مسألة جوهر الدعوة، مع أن الذهبي سلفي ومعروف كتابه علو العلي الغفار.

كما فعل مع التقي السبكي برسالة أرسلها إله، ويمكن تذكرون هذه الرسالة موجودة في الرد الوافر، لما رد عليه السبكي قاله ايه؟ قاله: والمملوك يعرف قدر ابن تيمية، وأخذ السبكي ودافع عن ابن تيمية وأظهر احترامه له.

يقول الكوثري: وأحيانًا كان يسلك سلوك آخر أحيانًا كان يراسل خصوم ابن تيمية كي يخففوا لهجة التشدد وأحيانًا يرسل مرة أخرى هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه، ينصحه فيها كما ترى، الشيخ القونوي هنا يعلق على كلام الكوثري يقول: أنت ترى أنه قد فرح بوقوعه على هذه النصيحة حيث عبر عن ذلك بأنه ظفر بها، فبادل إلى شرائها بثمن يتناسب مع قيمة هذه الوثيقة الثمينة، وهي فرحة يشاركنا فيها الكوثريون إلى يومنا هذا، وقد آن أن ترد طرحة عليهم.

أيضًا يقول: أما كلامه على الذهبي بخاصة فهو الدليل الكبير في كلمته على أنه كان ألعوبة للهوى والشيطان، إن لم يكن لحقه حمق صوفيتـه. أكان الذهبي يا عديم الإنصاف في مثل بذاءتك، حتى ينصح شيخه بالسباب والشتائم ؟ هل يعقل أن الذهبي يكتب إلى شيخه ابن تيمية بهذا الأسلوب الموجود في النصيحة الذهبية؟ فيه سباب وتطاول وكذا وكذا، وبالأسلوب الذي لم نشهده منه، حتى في خطابه للفلاسفة والملاحدة والوجودية؟!

أيدعو أبو عبد الله الذهبي أضداد شيخ الإسلام؛ ابن تيمية، إلى تخفيف لهجتهم نحوه، ثم يبعث إليه برسالة صخرية اللهجة، عنيفة الوقع، سوقية العبارات، أكثر خصومه تورعوا عن مثلها؟!

وبعدين الكوثري يعني عارف إنه ممكن يقال (13:19) العلماء يمدحون ابن تيمية مدحًا شديدًا، فبيرد يقول ايه الكوثري؟

إن ناسًا من العلماء تسرعوا في إطرئه، ثم إنهم ذاقوا مرارة ذلك، كان على شان يبطل مفعول تزكية العلماء إلى شيخ الإسلام، الكوثري كان معروفًا بالتدليس والتحريف أحيانًا في المخطوطات، كي لا يمكن أهل السنة من الاستدلال لم في بعض المخطوطات على العقيدة السلفية، حتى أن واحدًا من أقرب الناس إليه، اللي هو محمد حسام الدين القدسي توفي سنة 1400 قال في مقدمة كتاب الانتقاء للإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى، يقول: وهذا وقد كان الشيخ محمد زاهد الكوثري يصحح الكتاب ويعلق عليه، ثم أوقفت ذلك في الصفحة 88 لم اطلعت عليه من بخلة في علمه وعمله، دفعتني إلى النظر في تعليقاته من النذر من مطبوعاتي بغير العين التي كانت لا تأخذ منه إلا عالمًا مخلصًا فرأيت في بعضها باحثًا بمادة واسعة وتوجيه لم يسبق إليه، وهو شطر السبب في إعجابي به، لم تأتى إليه من عدم النفاذ إلى أغراضه، وفي بعضها يحاول الارتجال في التاريخ تعصبًا وافتراء والباقي تعليق ككل تعليق، وكلام ككل كلام.

وخيفت أن أشاركه في الإثم إذا سكت عن جهله بعد علمه سقت هذه الكلمة الموجزة معلنًا براءتي مما كان من هذا القبيل، وهو كان حليفًا للكوثري وطبعًا له أشياء.

لكن هنا أثبت أن الكوثري يتلاعب في بعض الأشياء، فمن ثم أعلن براءته من منهجهه، يقول القنوي لا يخالجني شك في أن مكر الكوثري بقرائه دخلًا في تورط محققين فضيلين بصحة نسبة النصيحة للإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

ثم ذكر كلامًا عن صلاح الدين المنجد، أنه قال في كتابه شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين قال معلقًا: شك بعضهم في نسبة هذه النصيحة للذهبي، ولا شك عندنا أنها له، فقد نقلت مخطوطاتها من خط الذهبي، ولم ينكرها أحد من العلماء الذين نقلوها كتقي الدين بن قاضي شهبة وغيره. ثم إن هذا هو أسلوب الذهبي عندما يُهاجم، ويبدو أنه كتبها في آخر عمره **... إلى آخره**.

الثاني الدكتور المحقق بشار عواد معروف، الذي قال في كتابه الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام وهو يتحدث عن انفراد السخاوي يقول: وهو الوحيد الذي أشار إلى رسالة الذهبي إلى ابن تيمية، مما وثق نسبتها إليه لا سيما وقد شك فيها غير واحد.

فهي الرسالة كانت بخط ابن قاضي شهبة، نقلها من خط البرهان ابن جماعة وهو نقلها أيضًا من الخط العلائي وهو من خط الذهبي.

طبعًا قلنا فعلا خط الذهبي فهذا لا يعني بحال انعدام احتمالات براءة الذهبي عن إنشائها فإنه يغدو بذلك ما لا نحتاج معه إلى مخالفة الأقرب إلى المعقول أو النيل من عرض أحد هؤلاء ونحت أثلته، ينحت أثلتنا ونحت أثلتهم، يعني ايه؟ الطعن في حسبه.

يذكر هنا بعض الاحتمالات، يعني لو كانت فعلا الرسالة بخط الإمام الذهبي، يقول: يحتمل أن تكون من وضع أحد أعداء ابن تيمية وما أكثرهم وأن واضعها قلد خط الذهبي تقليدًا محكمًا ثم جعلها حيث يقع نظر العلائي عليها.

فالعلائي لما يرى رسالة بخط الذهبي ينسبها إلى الذهبي ويقول رأيتها بخط الذهبي، كنوع من الوجادة، ويحتمل أن الذي زورها قلد خط العلائي ثم أوقف البرهان ابن جماعة عليها.

ويحتمل أن الخط المزور هو خط ابن جماعة، وأن الواهم هو ابن قاضي شهبة.

ثم ألم يلحظا أن هؤلاء الأعلام فضلاً عن غيرهم ممن اطلع على النصيحة لم يُعرف عنهم الإشارة إليها مستشهدين بها على تناقض حكم إمام في الجرح والتعديل؛ كالذهبي في الرجال الذين عاصرهم وجالسهم؟ فالنَّقَدَةُ من أقرانه وتلاميذه متوافرون، ولو أن عبد الوهاب السبكي وأمثاله وقعت إليهم لأعظموا الوَلْوَال.

يعني لو كانت الرسالة دي فعلا مشهورة أيام حياة الذهبي وابن تيمية كان هيكون واضح جدًا إن الذهبي بيقع في تناقض لأن هو تلميذ ابن تيمية وأثنى عليه ثناء عظيمًا جدًا، فألم يفكر أحد في الجواب عن هذا التناقض؟

أيضًا تلامذة ابن تيمية النقدة والخبراء متواجدون ومتوافرون، فلا شك أنه لو كانت وقعت هذه الرسالة في يد واحد زي السبكي وهو خصم شديد لابن تيمية كان أكثر الولوال كما يقولون هاهنا، فلما لم يقع ذلك فهذا يشكك.

الحافظ العلائي نفسه اللي هو خطه موجود في السلسلة دي، الحافظ العلائي كان بينتقد الإمام الذهبي رحمه الله تعالى، عندما ترجم للأمير تنكز فبيعلق على كلام الذهبي يقول له ايه؟

لقد بالغ المصنف، وتجاوز الحدّ في ترجمته تنكز، وأين مثله؟ وأعرض عن محاسنه الطافحة.

واخدين بالكم؟ فهنا الإمام الحافظ العلائي بيقول إن الذهبي في ترجمة هذا الأمير تنكز أرجو إنه يكون صح أنا جايبها كدة يعني ما وقفت على ضبط لكلمة تنكز أو تنكز المماليك كانت دايمًا اساميهم صعبة كده، الإمام العلائي بينكر على الذهبي أنه اشتدل في الكلا وهو يترجم للأمير، يقول: لقد بالغ المصنف وتجاوز الحد في ترجمة تنكز وأين مثله، وأعرب عن محاسنه الطافحة.

ثم قال: ذنب تنكز أنه كان يحط كثيراً على ابن تيمية، يعني عايز يشير إلى ايه؟ أن الذهبي كان شديد الولاء لابن تيمية، وإن أي حد كان يبغض ابن تيمية كان الذهبي يشتد عليه، فطبعًا هنا واضح من السياق إن الذهبي شديد الولاء لابن تيمية، يقوله: اه انت ذاهب للأمير ده عندك هو كان ينتقد ابن تيمية.

هذا الحافظ العلائي رحمه الله ينقد الذهبي عندما ترجم لأمير تنكز، قائل لقد بالغ المصنف وتجاوز الحد في ترجمة تنكز وأين مثله، وأعرض عن محاسنه الطافحة ثم قال: ذنب تنكز أنه كان يحت كثيرًا على ابن تيمية.

فلو أن الحافظ العلائي هو الذي نسخ النصيحة لما أخلاها من تعليق مناسب، نقلها ابن جماعة ومن بعده.

يقول القنوي هنا بعد أن عثرت على كتاب ابن السراج الدمشقي، الذي أتهمه بكتابة النصيحة ودرست كلامه، وتأملت النصيحة، خلصت إلى هذا التفسير الذي يقبله العقل، ولا تردُّه العادة.

لقد تأملت في كلمة وردت في نهاية مخطوطة النصيحة وهي هذه: آخر الرسالة الذهبية نصيحة منه لابن تيمية فظهر لي أنها مكمن الظن الخاطىء، الذي أدى إلى رمي الذهبي بإنشائها، وذلك أنه يُفهم من كتاب (التشويق) و(التفاح) لابن السراج أنه كان مولعاً بالسجع جداً، وأنه كان يُصدِّر رسائله بعناوين مسجوعة، وأنه في رسالته هذه، سار على المعهود من أمره، فكتب هذا العنوان (الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية)، أو لعله كتب (رسالة ذهبية إلى ابن تيمية) على أن مراده من لفظ (الذهبية) الذهب المعروف، أي أنها في قيمة هذا المعدن الثمين.

وده بيستعملوه العلماء كثيرًا في العناوين، اللؤلؤ والمرجان، مش عارف اللؤلؤ المكنون، يعني بيستعملوها في العناوين، فمراده هنا لفظة الذهبية الذهب المعروف أي أنها في قيمة هذا المعدن الثمين.

فلما وقعت هذه الرسالة إلى الحافظ العلائي وقرأها (الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية)، حسب أن نسبة الذهب فيها إلى شيخه الحافظ الذهبي، وأداه المتبادر إلى الذهن، من هذه اللفظة إلى الذهول عن أن الخط ليس لشيخه، فاستنسخ منها لنفسه ثم تابعه من نسخها عنهُ.

ويمكن أن يكون الذهبي قد نسخها حين رآها بخط ابن السَّرَّاج، لمقصد عنده، كما يفعل المؤرخ المجمّع لمادته العلمية على أن يقول فيها رأيه بعد، ثم لم يتيسر له ذلك، وبقيت بخطه حتى عثر عليها العلائي.

وعلى هذا فما كُتِبَ بأول الرسالة من قبل أحد النساخ ـ وأظنه الحافظ العلائي ـ من قوله: «رسالة نصيحة من الذهبي لابن تيمية عفا الله عنهما» هو من اجتهاده وفهمه، إذ رأى في صدر الرسالة ما رأى.

الحقيقة بيبدأ الكاتب هنا بداية موفقة بيوضح ابتداء مكانة ابن تيمية عند الإمام الذهبي، نلاحظ دائمًا وكما هو معروف من علمائنا في التراجم العلماء ما كانوا يجازفون في الحديث والثناء، يعني علماؤنا كانوا يؤدون كلمة الشهادة التي ستبقى عبر التاريخ، فكانوا لا يجاذفون في المدح ليس إنشاء أدبي كما يحصل من غيرهم، وإنما لإنزال الناس منازلهم، بالعكس الحافظ الذهبي قال: إن من رأى كلامي في ابن تيمية يتهمني بالتقصير، اللي يشوف ابن تيمية ويقرأ كلامي يتهمني بالتقصير في وصف ابن تيمية.

قال الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله في كتابه (ذيل تاريخ الإسلام).

بيتكلم على ابن تيمية: ابن تيمية، الشَّيخ، الإمام العالم، المُفسّر، الفقيه، المجتهد، الحافظ، المحدِّث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التَّصانيف الباهرة والذكاء المفرط، تقي الدين، أبو العبَّاس، أحمد، ابن العالم المفتي شهاب الدين عبد الحليم، حتى في ترجمته بيقول له ايه بقى بيقول والد شيخنا، على الإمام عبد الحليم والد شيخ الإسلام، يقول: والد شيخنا وحدثنا عنه على المنبر ولده أيده الله بروح منه.

المهم ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات، عبد السَّلام مؤلف (الأحكام)، ابن عبد الله ابن أبي القاسم الحَرَّاني، ابن تَيْميَّة، هو لقب لجده الأعلى.

حران الآن داخل تركيا، مولده في عاشر ربيع الأوَّل، سنة إحدى وستين وست مئة، بحرَّان، وتحول به أبوه وأقاربه إلى دمشق في سنة سبع وستين، عند جور التَّتار؛ منهزمين في الليل؛ يجرون الذرية والكتب على عجلة؛ فإنَّ العدو ما تركوا في البلد دواب سوى بقر الحرث، وكلَّت البقر من ثقل العجلة، ووقف الفرار، وخافوا من أن يدركهم العدو، ولجأوا إلى الله، فسارت البقر بالعجلة، ولطف الله تعالى، حتَّى انحازوا إلى حد الإسلام.

فسمع من: ابن عبد الدائم، وابن أبي اليُسر، والكمال بن عبد، وابن أبي الخير، وابن الصيرفي، والشَّيخ شمس الدين، والقاسم الإربلي، وابن علان، وخلق كثير، وأكثر وبالغ.

 وقرأ بنفسه على جماعة وانتخب، ونسخ عدة أجزاء، و«سنن أبي داود»، ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر، مع التدين والنبالة، والذكر، والصيانة.

ثمَّ أقبل على الفقه ودقائقه وقواعده وحججه، والإجماع والاختلاف؛ حتَّى كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، ثمَّ يَستدل ويُرجّح ويجتهد، وحُقَّ له ذلك، فإنَّ شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه؛ فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح، أو إلى المسند، أو إلى السنن منه؛ كأن الكتاب والسنن نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف. وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين.

وأما أصول الديانة، ومعرفتها، ومعرفة أحوال الخوارج والروافض والمعتزلة وأنواع المبتدعة؛ فكان لا يُشق فيه غباره، ولا يلحق شأوه.

هذا مع ما كَانَ عليه من الكرم الَّذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة الَّتي يضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذّ النفس، من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية.

ولقد سارت بتصانيفه الركبان، في فنونٍ من العلم وألوان، لعلَّ تواليفه وفتاويه في الأصول، والفروع، والزهد، والتفسير، والتوكل، والإخلاص، وغير ذلك، تبلغ ثلاث مائة مجلد، لا بل أكثر.

وكان قوَّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار.

انتبهوا لهذه العبارة ومن خالطه وعرفه؛ قد ينسبني إلى التقصير في وصفه، ومن نابذه وخالفه؛ ينسبني إلى التغالي فيه، وليس الأمر كذلك. مع أنني لا أعتقد فيه العصمة، كلا! فإنه مع سعة علمه، وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين، بشرٌ من البشر تعتريه حدّة في البحث، وغضب وشظف للخصم؛ تزرع له عداوة في النفوس، ونفوراً عنه.

وإلا والله، انتبهوا أيضًا لهذه العبارة الرائعة، يقول: وإلا والله فلو لاطف الخصوم، ورفق بهم، ولزم المجاملة وحسن المكالمة؛ لكان كلمة إجماع؛ فإنَّ كبارهم وأئمتهم خاضعون لعلومه وفقهه، معترفون بشفوفه وذكائه، مقرّون بندور خطئه.

لست أعني بعض العلماء الَّذين شعارهم وهجِّيراهم الاستخفاف به، والازدراء بفضله، والمقت له، حتَّى استجهلوه وكفَّروه ونالوا منه، من غير أن ينظروا في تصانيفه، ولا فهموا كلامه، ولا لهم حظ تام من التوسع في المعارف، والعالم منهم قد ينصفه، ويرد عليه بعلم.

وطريق العقل السكوت عما شجر بين الأقران رحم الله الجميع.

الذهبي وهو يترجم لنصر المنبجي يقول في أثناء الترجمة: ونقل إليه أوباش بعض الناس الذي يصفهم بأنهم أوباش، نقلوا إلى نصر المنبجي كلامًا على ابن تيمية، فهو انتقد ابن تيمية وبنى على ما تلقاه، وكان الأولى به أن يتحرى صدق هذا الكلام، فكفاية أن السند مسند إلى أوباش، يبقى المفروض أنه لا يلتفت إليه.

يقول الذهبي في ترجمة نصر المنبجي، ونقل إليه أوباش عن شيخنا ابن تيمية أنه يحط على الكبار، فبنى على ذلك، فهلا اتعظت في نفسك بذلك، ولم تحط على ابن تيمية؟ فإنه والله من كبار الأئمة، وبعد فكلام الأقران لا يقبل كله، ويقبل منه ما تبرهن.

يعني ما قام عليه دليل.

يقول الذهبي وانتبهوا لهذا أيضًا، يقول:

وأنا أقلّ من أن ينبّه على قدره كلمي، أو أن يوضّح نبأه قلمي؛ فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه، مقرُّون بسرعة فهمه، وأنَّه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وأن جُوده حاتمي، وشجاعته خالدية.

 ولكن قد يَنْقِمون عليه أخلاقاً وأفعالاً؛ منصفُهم فيها مأجور، ومقتصدهم فيها معذور، وظالمهم فيها مأزور، وغالبهم مغرور، وإلى الله ترجع الأمور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسل، والحجة في الإجماع.

فرحم الله امرأً تكلم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بتؤدة وفهم، ثمَّ استغفر لهم، ووسَّع نطاق المعذرة، وإلاَّ؛ فهو لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري.

وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تَيْميَّة في مفرداته؛ يعني كبار الأئمة إذا كان له خطأ وخطأ جسيم فأنت تقول هو معذور في ذلك، فتأتي لمفردات ابن تيمية مسائل أدق بكثير من ذلك وتقف أمامها، وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته، فقد أقررت على نفسك بالهوى، وعدم الإنصاف.

وإن قلت: لا أعذره، لأنَّه كافر، عدوّ لله تعالى ورسوله! قال لك خلقٌ من أهل العلم والدين: ما علمناه والله إلاَّ مؤمناً محافظاً على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظِّماً للشريعة ظاهراً وباطناً. لا يؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم، فإنه بحر زخَّار، بصير بالكتاب والسنة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدين؛ فلو كان كذلك؛ لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه، وموافقتهم، ومنافقتهم.

ولا هو يتفرد بمسائل بالتشهّي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتج لها بالقرآن، أو بالحديث، أو بالقياس، ويبرهنها ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث؛ أُسوةَ مَنْ تقدمه من الأئمة، فإن كانَ قد أخطأ فيها؛ فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كانَ قد أصاب؛ فله أجران.

وإنَّما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى، ولم يُبْدِ حجة، ورجل تكلَّم في مسألة بلا خميرةٍ من علم، ولا توسُّعٍ في نقل؛ فنعوذ بالله من الهوى والجهل.

ولا ريب أنه لا اعتبار بذم أعداء العالم؛ فإن الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف والقيام عليه. ولا اعتبار بمدح خواصه والغلاة فيه؛ فإن الحب يحملهم على تغطية هناته، بل قد يعدوها محاسن. وإنما العبرة بأهل الورع والتقوى من الطرفين، الذين يتكلمون بالقسط، ويقومون لله، ولو على أنفسهم وآبائهم.

فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه الذهبي بيقول الكلام الذي قلته على ابن تيمية إنما أقوله لوجه الله، يقول في هذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دنيا ولا مالاً ولا جاهاً بوجه أصلاً، مع خبرتي التامة به، ولكن لا يسعني في ديني، ولا عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائله، وأبرز ذنوباً له مغفورة في سعة كرم الله تعالى وصفحه، مغمورة في بحر علمه وجوده، فالله يغفر له، ويرضى عنه، ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه.

مع أني مخالفٌ له في مسائل أصلية وفرعية، قد أبديت آنفاً أن خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حسن قصده، وبذل وسعه، والله الموعد. مع أني قد أوذيت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده؛ فحسبي الله.

الإمام الذهبي بيشتكي من بعض أصحاب ابن تيمية آذوه لأنه يعتقد أنه قصر في حق ابن تيمية، ابن تيمية أعظم مما قلت، وأعداؤه آذوه لمدحه وثنائه على ابن تيمية.

وكان الشيخ أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهْوَري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة. تعتريه حدَّه، ثم يقهرها بحلم وصفح، وإليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء. ولم أرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه. وقد تعبت بين الفريقين.

الذهبي بيرجع تاني ويئن بالشكوى، يقول: وقد تعبت بين الفريقين: فأنا عند محبه مُقصِّر، وعند عدوّه مُسرف مُكثر، كلا والله.

توفي ابن تيمية إلى رحمة الله تعالى معتقلاً بقلعة دمشق، بقاعة بها، بعد مرض جَدَّ أياماً، في ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

وصُلِّي عليه بجامع دمشق عقيب الظهر، وامتلأ الجامع بالمصلين كهيئة يوم الجمعة، حتى طلع الناس لتشييعه من أربعة أبواب البلد، وأقلُّ ما قيل في عدد من شهده خمسون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وحُمل على الرؤوس إلى مقابر الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدين، رحمهما الله تعالى وإيّانا والمسلمين.

في موضع آخر طبعًا ده في ذيل لتاريخ الإسلام، كلامه في ذيل تاريخ الإسلام.

كتاب آخر (تذكرة الحفاظ):

يقول: ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهدُ المفسّرُ البارعُ شيخ الإسلام، عَلَم الزُّهَّاد، نادرةُ العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرَّاني. أحد الأعلام.

يعني أبوه عبد الحليم وجده عبد السلام، والثلاثة طبعًا أئمة وعلماء، لكن لما تكلم بعض العلماء في ترجمة الأب عبد الحليم، قال: إنه كان نجمًا تسبب في خفاء في ظهوره ضوء الشمس والقمر لم يظهر بسبب نور الشمس وضوء القمر.

ضور القمر اللي هو مين؟ الجد، والشمس هو الحفيد ابن تيمية.

ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم مع أهله سنة سبع، فسمع من كذا وكذا، وذكر شيوخه، وعني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلل الكلام وغير ذلك.

وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزُّهاد الأفراد، والشُّجعان الكبار، والكرماء الأجواد. أثنى عليه الموافِقُ والمُخالف، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاث مئة مجلد.

حدَّث بدمشق، ومصر، والثغر. وقد امتُحن وأُوذيَ مرات، وحُبس بقلعة مصر والقاهرة والاسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين.

بينا أول أمس أن مكان القلعة هنا في الماكس في طريقك وأنت رايح الدخيلة في معسكر أمن مركزي وهو ده المكان اللي كان فيه قلعة المماليك الذي كان يحبس فيه المعارضون السياسيون والعلماء ونحو ذلك، فذاك المكان يعني الذي شرفنا فيه ابن تيمية رحمه الله تعالى.

لأن جاء في صفة المكان الذي حُبس فيه كان يطل من جهة على البحر العذب ومن جهة على البحر المالح.

وبها توفي في دمشق يعني في قلع دمشق، في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، في قاعة، معتقلاً. ثم جُهِّز وأخرج إلى جامع البلد، فشهده أُمم لا يُحْصَون، فحُزروا بستين ألفاً.

وقال عنه في معجم الشيوخ شيخنا الإمام تقي الدين أبو العباس الحراني:

فريد العصر عِلْماً ومعرفةً وذكاءً وحفظاً وكرماً وزهداً، وفرطَ شجاعةٍ وكثرةَ تآليف والله يصلحه ويسدِّده، فلسنا بحمد الله ممن نَغْلُو فيه، ولا نجفو عنه، ما رُئي كاملاً أئمةُ التَّابعين وتابعيهم، فما رأيته إلاّ ببطن كتاب.

يعني هو عمره ما شاف ابن تيمية إلا وهو بيقرأ كتاب لا ده كأن الكتاب له بطن وهو داخل في بطن الكتاب من شدة الاستغراق في القراءة، يقول: فما رأيته إلا ببطن كتاب، في تشبيه قريب وصف به الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ذكره شيخنا الشيخ محمد الصباغ فكان يقول ايه؟ يقول: الألباني كان يجلس في المكتبة الظاهرية في دمشق عين في الكتاب وعين على السائل، إذا سأله أحد سؤال، يعني بيقسم عينه اثنين عين تظل تقرأ والعين الثانية، طبعًا هذا لا يقع إلا إذا بيحصل حول بقى، لكن المقصود طبعًا شدة الالتصاق بالكتاب، حتى إذا كان أحد يكلمه بيجعل عين منهم يقرأ بها الكتاب ويستمر ولا يتوقف والعين الأخرى تتابع السائل.

ثم قال الذهبي ولم يخلف بعده مثله في العلم، ولا من يقاربه.

أيضًا قال: في المعجم المختص، الذهبي يقول: وبرع في علوم الآثار والسُّنَنِ، ودَرَّس وأفتى وفسَّر وصَنَّف التصانيف البديعة وانفرد بمسائل فَنيلَ من عِرْضِه لأجلها، وهو بَشرٌ له ذنوبٌ وخطأٌ ومع هذا فوالله ما مَقَلَتْ عيني مثله ولا رأى هو مِثْل نَفْسه. كان إماماً مُتبحّراً في علوم الديانة صحيح الذّهن، سريع الإدراك، سَيَّال الفَهْم، كثير المحاسن، موصوفاً بفَرْط الشجاعة والكرم، فارغاً عن شهوات المأكل والملْبَس والجماع، لا لذَّة له في غير نَشْر العلم وتدوينه والعمل بمقُتضاه.

وذكره أبو الفتح اليَعْمَري في «جواب سؤالات أبي العباس بن الدمياطي الحافظ» فقال في حق ابن تيمية: «ألْفَيتُهُ ممن أدرك من العلوم حَظَّاً، وكادَ يستوعبُ السُّنن والآثار حفظاً، إن تكلَّم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدْرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب عِلمه وذُو روايته، أو حاضَر بالنِّحَل والمِلَل لم يُرَ أوسَعُ من نِحلته ولا أرفعُ من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، لم ترَ عيني مثله ولا رأتْ عينُهُ مثل نَفْسِه.

يقول الذهبي: قد سُجن غير مرةٍ ليفْتر عن خُصومِه ويُقْصِر عن بَسْطِ لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح، إلى أن توفي معتقلاً بقلعة دمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة **... إلى آخره**.

أيضًا العلامة ابن رجب الحنبلي وهو من تلامذة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول في الذيل على طبقات الحنابلة نقل عن الذهبي، يقول قال الذهبي في معجم شيوخه أحمد بن عبد الحليم إلى أن قال: شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إهياً وكرماً ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرّج، ونظر في الرجال والطبقات وحصّل ما لم يحصّله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيّال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميّال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها.

وبرع في علوم الآثار والسُّنَنِ، ودَرَّس وأفتى وفسَّر وصَنَّف التصانيف البديعة وانفرد بمسائل فَنيلَ من عِرْضِه لأجلها، وهو بَشرٌ له ذنوبٌ وخطأٌ ومع هذا فوالله ما مَقَلَتْ عيني مثله ولا رأى هو مِثْل نَفْسه. كان إماماً مُتبحّراً في علوم الديانة صحيح الذّهن، سريع الإدراك، سَيَّال الفَهْم، كثير المحاسن، موصوفاً بفَرْط الشجاعة والكرم، فارغاً عن شهوات المأكل والملْبَس والجماع، لا لذَّة له في غير نَشْر العلم وتدوينه والعمل بمقُتضاه.

ذكره أبو الفتح اليَعْمَري في «جواب سؤالات أبي العباس بن الدمياطي الحافظ» فقال: «ألْفَيتُهُ ممن أدرك من العلوم حَظَّاً، وكادَ يستوعبُ السُّنن والآثار حفظاً، إن تكلَّم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدْرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب عِلمه وذُو روايته، أو حاضَر بالنِّحَل والمِلَل لم يُرَ أوسَعُ من نِحلته ولا أرفعُ من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، لم ترَ عيني مثله ولا رأتْ عينُهُ مثل نَفْسِه».

قلتُ: قد سُجن غير مرةٍ ليفْتر عن خُصومِه ويُقْصِر عن بَسْطِ لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح، إلى أن توفي معتقلاً بقلعة دمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وشَيَّعه أُممٌ لا يُحْصَون إلى مقبرة الصُّوفية، غَفَر الله له ورحمه آمين»(1).

وقال فيما نقله عنه العلامة ابن رجب الحنبلي (ت 795 هـ) في: (الذيل على طبقات الحنابلة): «قال الذهبي في معجم شيوخه: أحمد بن عبد الحليم ـ وساق نسبه ـ الحراني، الدمشقي، الحنبلي أبو العباس، تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إإإهياً وكرماً ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرّج، ونظر في الرجال والطبقات وحصّل ما لم يحصّله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيّال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميّال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها.

وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزوّاً إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده.

وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين، وردّ عليهم، ونبّه على خطئِهم، وحذّر منهم ونصر السنّة بأوضح حجج وأبهر براهين. وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنّة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على صحبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل المِلَلِ والنِّحَل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، وأحيى به الشام بل والإسلام بعد أن كاد ينثلم، بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فظنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرأب النفاق وأبدى صفحته.

وتكلمنا قبل ذلك حين اتحدت مصر والشام تمكنوا من قهر المماليك، وده طبعًا مصر كان لها دور عظيم جدًا في إنقاذ الشام والعالم الإسلامي كله من التتار، حينما أقبلت الجيوش المصرية وساندت أهل الشام، وضربوا خطر التتار، بنتكلم عنها دائما في التاريخ وبننسى من الذي كان له الفضل في هذا.

ابن تيمية هو الذي سافر إلى مصر وحث الحكام هنا في مصر كانوا طبعًا تبع دولة المماليك وحثه على أن ينقذوا أهل الشام ويأذروهم ويدفعوا ويدرءوا خطر التتار فابن تيمية كان هو صاحب الدور في هذا التوحيد.

يقول الذهبي: ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبّه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: إني ما رأيت بعينيّ مثله، وأنّه ما رأى مثل نفسه.

أيضًا الذهبي بيقول في التاريخ الكبير:

وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، إليه المنتهى في عَزْوِه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصْدق عليه أن يقال –ده كلام الذهبي- بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

ويقول الذهبي أيضًا: وغالب حطه على الفضلاء والمتزهدة فبحق، نقده للصوفية وهؤلاء كان هو على حق فيه، وغالب حطه أغلبه على الفضلاء والمتزهدة فبحق وفي بعضه هو مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفّر أحداً إلا بعد قيام الحجّة عليه.

وقال أيضً: ولقد نصر السنّة المحضة، والطريقة السلفية، واحتجّ لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأوّلون والآخرون وهابوا، وجَسَر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المرَّ الذي أداه إليه اجتهاده وحدّة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شاميّة ومصرية، مع المخالفين، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة والاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية.

وله من الطرف الآخر محبّون من العلماء والصُّلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجّار والكبراء، وسائر العامة تحبّه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته: فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبّه الأبطال، ولقد أقامه الله تعالى في نوبة قازان، والْتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع ودخل وخرج، واجتمع بالملك قازان ملك التتار مرّتين وبقطلوشاه وبولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجراءته على المغول.

وله حدّة قويّة تعتريه في البحث، حتى كأنه ليث حَرِب، وهو أكبر من أن ينبّه مثلي على نعوته، وفيه قلّة مداراة، وعدم تُؤدة غالباً، والله يغفر له، وله إقدام وشهامة، وقوّة نفس تُوْقعه في أمور صعبة، فيدفع الله عنه.

وله نظم قليل وسط، ولم يتزوّج، ولاتَسَرّى، ولا له من المعلوم إلا شيء قليل وأخوه يقوم بمصالحه، ولايطلب منهم غداء ولاعشاء في غالب الوقت.

وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم وهو فقير لا مال له، وملبوسه كآحاد الفقهاء: فرجية ودَلق وعمامة تكوّن قيمة ثلاثين درهماً، ومداس ضعيف الثمن، وشَعْره مقصوص.

وهو ربع القامة، بعيد ما بين المنكبين، كأنّ عينيه لسانان ناطقان، ويصلّي بالناس صلاة لا يكون أطول من ركوعها وسجودها، وربما قام لمن يجيء من سفر أو غاب عنه، وإذا جاء فربما يقومون له، الكل عنده سواء، كأنه فارغ من هذه الرسوم، يعني الشكليات والمظاهر، كأنه فارغ من هذه الرسوم، ولم ينحن لأحد قط، وإنما يسلّم ويصافح ويبتسم، وقد يعظّم جليسه مرة ويهينه في المحاورة مرات.

يشبهني بالشيخ الألباني رحمه الله تعالى في غاية الاحترام والتأدب حتى مع من هم في سن أحفاده ده في مقام المجاملة، لكن إذا حصلت مصارعة فبيفرمه الشيخ الألباني، ما عنده أي مداراة في الحق وما يراه من السنة، في نفس المجلس تجده في غاية الذوق حتى يقول لأصغر واحد يا أستاذ أنت قلت كذا، وحسن المعاشرة جدًا رحمه الله الشيخ الألباني كان حسن المعاشرة جدًا، لكن عند الاختلاف والمحاورة لا يداري ولا يتلطف بأحد.

فالشيخ القناوي هنا يعلق على هذه النقول كلها من كلام الذهبي.

يَفهم مما سبق أن الذهبي رحمه الله تعالى كان يستعظم من مزاج هذا الطود العلمي والإمام الربّاني أن يظهر كل هذه الحدة والثوران، وصك المخالف المحاور له بحادّ القول وإبَرِه.

بيتكلم الذهبي وهو يذكر الحملة التي حصلت من متعصبة الأشاعرة على الشيخ لما قال لك ايه؟ الفتوى الحموية الكبرى.

يقول: وكان قد لحقهم حسد الشيخ، وتألم منه بسبب ما هو المعهود من تغليظه وفظاظته وفجاجة عبارته، وتوبيخه الأليم المبكي المنكي المثير للنفوس، ولو سلم من ذلك كان أنفع للمخالفين لا سـيما عبارته في هـذه الفُتيـا الحموية، وكان غضبه فيها لله ولرسوله باجتهاده، فانتفع بها أناس وانفصم بها آخرون ولم يحملوها.

يمكن المواقف المعروفة أيضً يمكن مواقف الإمام أبي حيان الأندلسي صاحب كتاب البحر المحيط في التفسير، كان له موقف مع شيخ الإسلام، أبو حيان أعجب جدًا بابن تيمية حتى قال شعرًا في مدحه، كان يختم بكلمة:

هذا الإمام الذي كان ينتظر

فأقر له طبعًا الفضل والعلم وكان مبهورًا جدًا بابن تيمية، لحد ما حصل مجلس جمعهما، تحاورا فيه في مسألة من مسائل اللغة العربية، فأورد ابن حيان كلام سيبويه سيبويه متوفي سنة 180 هجريًا، فهو كأن سيبويه قال كذا يبقى دي الحجة في اللغة مافيش نقاش بقى مادام سيبويه قال كده، فاحتج بكلام سيبويه لمجرد أنه كلام سيبويه، فقال له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهي يفشر سيبويه، ما كان سيبويه نبي النحو، ولا كان معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما تفهمها أنت، فهذه الحادثة كانت نقطة تحول فانحرف عنه الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى وحصل يعني مجافاة بينهما.

أيضًا حكاية حُكيت عن ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو صغير، تحاور مع بعضهما في مسألة وهو صغير، نحن تكلمنا قبل كده عن طفولة ابن تيمية كان فيها العجب يعني كما تلاحظون أكثر حاجة اتمسكت على شيخ الإسلام ايه؟ الحدة مع المخالف، ودي بترجع ساعات للطبع التركيب المزاجي للإنسان بيبقى كده، لكنه يقهرها بالحلم والتماسك.

لكن موقف وهو صغير يدل على أن الحدة موجودة، فتحاور مع بعضهم في مسألة وهو صغير، وكان في يده كتاب علم، فلما أغضبوه في النقاش يعني احتد وغضب ألقى المجلد من يده غيظاً، فلما أنكروا عليه ذلك ذكَّرهم بقصة موسى عليه السلام حين ألقى الألواح.

كأن أبا العباس سقى الله قبره شآبيب الرحمة كان يعتذر عن وجود هذه الخصلة لديه عندما روى لتلميذه الذهبي: أن جدّه المجد بن تيمية كانت فيه حدّة.

يعني ابن تيمية نفسه حكى للذهبي أن جده المجد رحمه الله تعالى كانت فيه حدة، ممكن يكون العنصر الوراثي له تأثير فيها، بس هي الحدة وخلاص وفي الحق، فيعني شيء يغتفر.

الذي يعنينا أنه رحمه الله كان يقهر حدّته هذه بحلم وصفح.

لقد كان الإمام الذهبي كما يظهر من كلامه السابق محبّاً لشيخ الإسلام، وكان هذا الحب معتدلاً كما ينتظر من إمام منصف عالم بأقدار الرجال، وليس فيما اطّلعت عليه عبارات سيئة فيه اللّهم إلافي (بيان زغل العلم)، (والنصيحة).

أما «النصيحة» فقد ازددنا علماً ببراءة الذهبي منها، بعد العثور على المتهم الرئيس بإرسالها، وأما (زغل العلم) فقد مرّت بك قبيح كلماتها، ونازل تعبيراتها في حق شيخ الإسلام، مما يدعو إلى النظر فيها بريبة، وتغليب احتمال كونها منحولة عليه أيضاً، أو أن تلك العبارات قد أقحمت إقحاماً في الكتاب، ولعلّ الله تعالى يوفّق أحد الدارسين إلى كشف جديد بشأنها.

لقد دافع الذهبي في كل كتبه، المؤكّد ثبوتها عنه، عن شيخ الإسلام، وعلمنا من نقل ابن رجب الحنبلي، رحمه الله، أنه أرسل إلى أحد مناوئيه، وهو تقي الدين السبكي رسالة يعاتبه فيها على كلامه الذي صدر عنه في أبي العباس، يعني كان شدة ولاء الذهبي لابن تيمية أن الإمام السبكي اشتد على شيخ الإسلام ابن تيمية وتكلم في حقه ببعض الكلام فأرسل الذهبي رسالة بيحتج على السبكي كيف تتكلم هكذا في حق ابن تيمية، طبعًا رد السبكي بمنتهى الأدب والسمو في العبارة، حتى بيقول: والمملوك يعرق قدر الشيخ، وإلى آخر العبارة.

فكان كلام السبكي ممّا يُذكّر بقول الشاعر:

وشمائل شهد العدو بفضلها \*\*\* والفضل ما شهدت به الأعداء

ولو عُرف عن الذهبي أنه كان يصرّح في مجالسه الخاصة، أو العامة، بغير ما رأيت من كلامه السابق عنه لتلقّفته الشافعية سريعاً، ولبلغ ذلك عبدالوهاب السبكي فكان ذلك سبباً في تخفيف شدة لسانه نحو شيخه الذهبي.

أيضًا نختم الكلام اللي بنقوله عن الذهبي بقصيدة ألفها الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فنقلها الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي، الذهبي ليرثي شيخ الإسلام بعد وفاته، فانظر النصيحة الذهبية تصدر عن مثل هذا لأنه هو الوفاء لابن تيمية حتى آخر لحظة من حياته وبعد وفاته، يقول الذهبي في رثاء شيخ الإسلام بعد وفاته:

يا موت خذ من أردت أو فدع \*\*\* محوت رسم العلوم والورعِ

أخذت شيخ الإسلام وانفصمت \*\*\* عرى التقى واشتفى أولوا البدعِ

غيّبت بحراً مفسراً جبلاً \*\*\* حبراً تقياً مجانب الشيعِ

فإن يُحدّث فمُسلِم ثقة \*\*\* وإن يناظر فصاحب اللمعِ

وإن يخض نحو سيبويه يفه \*\*\* بكل معنى من الفن مخترعِ

وصار عالي الإسناد حافظه\*\*\* كشعبة أو سعيد الضبعي

والفقه فيه فكان مجتهداً\*\*\* وذا جهاد عارٍ من الجزعِ

وجوده الحاتمي مشتهر\*\*\* وزهده القادري في الطمع

أسكنه الله في الجنان ولا\*\*\* زال علياً في أجمل الخلع

مع مالك الإمام وأحمد\*\*\* والنعمان والشافعي والخلعي

مضى ابن تيمية وموعده\*\*\* مع خصمه يوم نفخة الفزعِ

طبعًا دي في بداية الكتاب، ركز على ايه؟ شهادة الذهبي في حق ابن تيمية في كتبه الكثيرة وهي مؤكدة من حيث ثبوتها إلى الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

ثم بعد ذلك بدأ يعرفنا بالشخص المتهم بإرسال النصيحة إلى ابن تيمية، يقول محمد بن السراج الدمشقي المتهم بإرسال النصيحة.

**اسمه:** محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الوهاب بن محمد بن طاهر بن السَّرَّاج القرشي الدمشقي الشافعي، عز الدين، أبو عبدالله.

يقول: لم أقع على مصدر يترجم له سوى ابن رافع السَّلاَّمي في (الوفيات) وعنه نقل ابن قاضي شهبة، وابن حجر العسقلاني ولم يذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) ولا غيره من أودّاء ابن تيمية أو أضداده فكان ذلك عجباً بحق، ولا أصحاب طبقات الشافعية، أو الصوفية، إلا النبهاني الذي وقف على جزء من كتاب ابن السَّرَّاج، وذكر معاصرته لابن تيمية في مقدمة الكتاب، ولم يزد بشيء.

فكان لزاماً عليّ أن أستخلص ترجمة له من مصنَّفه، لم يبقى مصدر بقى غير كتاب بتاعه اللي هو تفاح الأرواح أو تشويق الأرواح، وهي ملامح لا بأس بها في إعطاء تصور جيّد عن الرجل. وإن قُدّر العثور على كتبه الأخرى فستزداد معرفتنا بتفاصيل عن حياته.

هو أصل الكتاب كتاب كبير اسمه تشويق الأرواح والقلوب إلى ذكر علّام الغيوب، وتفاح الأرواح ومفتاح الأرباح ده جزء من كتاب تشويق الأرواح.

وهو دمشقي من أسرة يبدو أنها قديمة السكنى بدمشق، يفهم ذلك من حديثه عن قلندري سكن دمشق ومات بها، هو يوسف القميني، قال عنه: وقع نظره على أبي وجدّي فأفلحا به غاية الفلاح.

طبعًا أبوه كان قاضيًا ويحتمل أن جده كان كذلك.

دي بقى نقطة مهمة: تعرفت أسرة ابن السَّرَّاج على الأسرة المهاجرة حديثاً من حرَّان إلى دمشق سنة: 667، تلك الأسرة التي كان منها صبي لم يجاوز الثامنة من عمره كتب الله تعالى أن يكون من مجدّدي هذه الأمّة، وأحد أعاظم أئمة الدين، بل أحد عباقرة الدنيا. إنه: أحمد بن عبد الحليم الحراني النميري رحمه الله.

نشأت صداقة الطفولة بين محمد بن السَّرَّاج وأحمد بن تيمية، وكانا متقاربي السن إلا أن ابن تيمية يكبره قليلاً فيكون مولد ابن السَّرَّاج بعد سنة 661 بقليل.

قال ابن السَّرَّاج: كان بيننا وبين هذا الفاضل يقصد ابن تيمية، كان بيننا وبين هذا الفاضل أنس عظيم، ومجاورة بالأهل والعيال، بالبلد والبساتين من حين الصغر، واللعب المعتاد بين الصغار، يعني كانوا بيلعبوا مع بعض.

ويفهم على هذا أنَّ أسرة ابن السَّرَّاج كانت تسكن بحي القصّاعين لأن والد أبي العباس نزل بها، وكان هذا الإمام يخرج بأولاده إلى البساتين على سبيل التنزّه، ونستنتج: أن أسرة ثالثة هي: أسرة الإمام؛ تاج الدين الفزاري المعروف (بالفركاح) ربما خرجت معهم، لأن ابنه البرهان الفزاري كان صديقاً لابن تيمية منذ صغره.

البرهان بن الفزاري ده أيضًا صديق الطفولة لابن تيمية كان بينهم صداقة عظيمة جدًا، رغم أنه كان أشعريًا، لكن كان ابن تيمية يحبه ولم يحصل بينهما أي نوع من المهاجرة أبدًا بخلاف ما حصل مع ابن السراج بعد ذلك، ويبدو أن صداقة ابن السراج لابن تيمية استمرت إلى مرحلة الشباب، لم يشبها معكر، إذ كانت شخصية أبي العباس في طور تكاملها.

قال ابن السرّاج يحكي ذكرياته: ولما اشتغلنا بالعلم الشريف، كنا أكثر الأوقات مجتمعين، وفي محافل تحصيله ملتئمين.

يعني زملاء دراسة أيضًا وجيران، طبعًا الجزئية دي ابن السراج يقول ولما اشتغلنا بالعلم الشريف كنا في أكثر الأوقات مجتمعين في محافل تحصيله ملتئمين، يبقى زميل دراسة ومجاورة.

نقارن هذه العبارة، وهنلاحظ برده عبارات تدل أنه يحب ابن تيمية أو كان هكذا يقول أنه كان يحب ابن تيمية ويراعي هذه الصداقة وهذه الزمالة، فبيقول ايه في النصيحة هنا؟ نقارن بين دي وبين النصيحة، بيقول:

فإذا كان هذا حالك عندي، وأنا الشفوق المحب الوادِّ فكيف يكون حالك عند أعدائك، دي في النصيحة الذهبية، في وسط الكلام بيقوله ايه المؤلف اللي هو محتمل أن يكون ابن السراج، يقول إذا كان هذا أنا الذي أحبك ومع ذلك أنكر عليك هذه الأشياء فكيف يكون حالك عند أعدائك؟ فالشاهد هنا قوله: وأنا الشفوق المحب الوادّ فطبعًا إن كونهم كانوا صديقين كده منذ الصغر ليس ببعيد أنهما اجتمعا في مجالس السماع الصوفي التي ربما حضر ابن تيمية بعضها على مضض في أوائل عمره.

لأن ابن تيمية هنا كما في مجموع الفتاوى في الجزء العاشر 418، يقول شيخ الإسلام:

 وكنت في أوائل عمري حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والارادة، فكانوا من خيار أهل هذه الطبقة، فبتنا بمكان، وأرادوا أن يقيموا سماعا وأن أحضر معهم، ده وهو لسة صغير خالص، فخدوه بقى في مجلس ذكر وكده وصوفية وعلى مضض يعني راح معهم، فقال فبتنا في مكان وأرادوا أن يقيموا سماعًا وأن أحضر معهم فامتنعت من ذلك فجعلوا لي مكانا منفردا قعدت فيه، مكان معزول كده بعيد عنهم لم يشارك في حلقة الذكر، فلما سمععوا وحصل الوجد والحال، صار الشيخ الكبير يهتف بى في حال وجده، ويقول: يا فلان قد جاءك نصيب عظيم، تعال خذ نصيبك، فقلت في نفسي ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا: أنتم في حل من هذا النصيب، يعني النصيب ده خليه لنفسكوا أنتم، أنتم في حل من هذا النصيب فكل نصيب لا يأتي عن طريق محمد بن عبد الله فإني لا آكل منه شيئا، وتبين لبعض من كان فيهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين، وكان فيهم من هو سكران بالخمر.

والذي قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والموهبة والحال سببها غير شرعي، اللي هي حالة الوجدي، نوع من اللذة الروحية بتحصل نتيجة الرقص وترديد الأذكار والحركات بتاعت الصوفية المعروفة، فهم بيشعروا من بنوع من الوجدان فبيقول له تعالى خذ نصيبك تمتع معنا بهذا الشعور، فابن تيمية لم ينخدع لصغر سنه، يقول: أنتم في حل من هذا النصيب فكل نصيب لا يأتي عن طريق محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- فإني لا آكل منه يشء.

والذي قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والموهبة والحال سببها غير شرعي، ليس هو طاعة لله ورسوله ولا شرعها الرسول فهو مثل من يقول: تعال اشرب معنا الخمر ونحن نعطيك هذا المال، أو عظم هذا الصنم ونحن نوليك هذه الولاية ونحو ذلك.

إذًا يُحتمل أن ابن السراج كان ممن شهد هذه الأمور مع ابن تيمية.

 ولما أنهى ابن السَّرَّاج تحصيله، العلمي وتأهّل لنيل وظيفة كأمثاله، جرت أمور لم يتضح لي كنهها، إلاّ أنني أظن أنه أغضب عليه بعض أمراء المماليك، فعيّن قاضياً في الأطراف، عينوه في حتة قاصية زي الصعيد كده، عند آخر حدود الدولة المملوكية في البيرة وبهنسة وقلعة المسلمين **... إلى آخره**، دي كلها في جنوب تركيا الآن.

إذًا يُفهم من كلام ابن السراج كما في كتاب تفاح الأرواح أن كان له خصوماً كان يبادلهم العداء واضح كما يقول من جملة المناوئين لنا والمترجحين علينا في العاجلة.

وخصومه دايما اللي هم يعادون القلندرية الطريقة الصوفية التي هو ينتمي إليها، يقول أيضًا، ولذلك وأمثاله أحببنا كيف أمكن اعتزالهم، وكرهنا منازلتهم، وأبغضنا نزالهم، فليس في صحبتهم صلاح، ولا في قربهم فلاح، ولا في نجواهم نجاح. أبعد الله بيننا وبينهم المدى، وابتلى بجهالتهم العدى، وجعلنا ممن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.

وأيضًا تكلمنا عن موضوع السجع، دي إحدى القرائن السجع في الكلام موجود في النصيحة الذهبي بنفس الأسلوب.

أما شيوخه:

فيذكر هنا أحمد بن شيبان الصالحي وقد سمع منه وقد سمع منه ابن تيمية أيضاً، كانوا زملاء في الدراسة فاشترك في بعض الشيوخ منهم أحمد بن شيبان الصالحي، وأيضًا منهم عبد الرحمن الفزاري وهو أيضًا ممن سمع منه ابن تيمية والمزي والذهبي كان شافعيًا في الفروع أشعريًا في الأصول قلندريًا رفاعيًا في تصوفه.

طبعًا الرفاعية ضرب من القلندرية وهم أسوء أنواع أصناف الصوفية، وعلى هذا ليس غريب أن يكون موقف ابن السراج عدائيًا بل شديد العداوة من شيخ الإسلام، لكن المعرفة الشخصية بينهما، كما قلنا في صداقة طفولة وشباب، تمامًا كما كانت الحال مع صديق طفولتهما البرهان الفزاري، الذي كان أشعريًا يخالف شيخ الإسلام، ومع ذلك ما تهاجرا قط، وكل منهما يحترم صاحبه إذا اجتمعا كما قال الصفدي.

لكن المعرفة الشخصية بينهما، وصداقة الطفولة، والفتوّة الأولى، ومجالس طلب العلم، إلى آخر ما هنالك، جعلت هذه العداوة من طراز آخر كما يبدو فلا مقاطعة كاملة بينهما، بل يستنتج؛ أنهما كانا يتناصحان.

يتناصحان يعني شيخ الإسلام يدعوه إلى الحق وهو يدعوه إلى ما ظنه حقًا وهو عنه بمعزل، هنا يلفت النظر إلى شيء مهم أوي، الشيخ القنوي دي رسالة التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار تأليف من؟ ابن شيخ الحزيمي، شخص تاب على يد ابن تيمية وبعد ما كان أشعريًا صار سلفيًا، وله قصة جميلة هذه رسالة في غاية الأهمية الحقيقة، فيها ثناء الشيخ على ابن تيمية وصية تلامذته لمراعاة الشيخ والاهتمام به واغتنام فرصة حياته.

هنا في هذه الرسالة نحن يمكن درسناها قبل كده إن شيخ الحزاميين يقول ايه في وسط الكلام؟ سيقول: ومن براهين المحق أن يكون عدلًا في مدحه عدلًا في ذمه، لا يحمله الهوى عند وجود المراد على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى عند تعذر المقصود على نسيان الفضائل والمناقب وتعديد المساوئ (01:03:22).

فالمحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه ثابت على ذم من سلبه وحط عليه، انتبهوا: وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة، يوجد هنا احتمال أن يكون المقصود بهذا الشخص هو من؟ ابن السراج.

بس الحقيقة كان خلافهم فيه نوع من الرقي، تلاحظون دائمًا أنها بتيجي من باب ما بال أقوام، ما بيصرحوش بالأسماء زي ما بيحصل في هذا الزمان العجيب، الانحراف عن الهدي النبوي في النقد هنا، يعني أنك تقصد الحط من الفكرة نفسها، فتجنب الأسماء بقدر المستطاع إلا إذا تعين في بعض المواضع طبعًا.

فهنا بيقول ايه؟ أما من عمل كراسة في عد مسالب هذا الرجل –اللي هو ابن تيمية- القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئًا من فضائله ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل بل المقصود تلك المثالب، بس بيخلطها بفضائل عشان يبقى في نوع من التلبيس.

ثم أخذ الكراسة يقرأها على أصحابه واحدا واحدا في خلوة يوقف بذلك همهم عن شيخهم ويريهم قدحا فيه فإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل وأقول انتصارا لمن ينصر دين الله بين اعداء الله في رأس السبعمائة فإن نصرة مثل هذا الرجل –ابن تيمية- واجبة على كل مؤمن كما قال ورقة بن نوفل لئن أدركني يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا، ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدي الحدود والإخلاد إلى الهوى.

أقول مثل هذا ولا أعين الشخص المذكور بعينه –هيتجنب ذكر اسمه- لا يخلو من أمور أحدها أن يكون ذا سن تغير رأيه لسنه لا بمعنى أنه اضطرب.

بيتكلم بقى عن تأثير تعداد المثالب على أنه يريد أن يخذل تلامذة الشيخ عنه، ويشمت أهل البدع **... إلى آخره**.

وفي الجملة على صاحبكم فافتقدوه في عقله أولا ثم في فهمه ثم في صدقه ثم في سنه فإذا وجدتم الاضطراب في عقله دلكم على جهله بصاحبكم وما يقول فيه وعنه ومثله قلة الفهم ومثله عدم الصدق أو قصوره لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه **... إلى آخره**.

بيتكلم عنها ابن شيخ الحزامين على الحرب الدعائية، يعني الطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية يذكرنا بقصة ذي الخويصلة التميمي لما قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام اعدل فإنك لم تعدل، أو أن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى.

يقول في هذه الأمة من سيفعل نفس الفعل، يقول يا سبحان الله العظيم أين عقول هؤلاء أعميت أبصارهم وبصائرهم أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا وقد بقيت هذه الخطة الضيقة يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل وإقامته ودحض الحق وأهله مالا يحصر في كتاب، ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجل قوي الهمة ضعيف التركيب قد فرق نفسه وهمه في مصالح العالم –ابن تيمية- وإصلاح فسادهم والقيام بمهماتهم وحوائجحهم ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه وإلا فأين حقيقة الدين العتيق فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وحده وهو منفرد بين أهل زمانه قليل ناصره كثير خاذله وحاسده والشامت فيه.

فمثل هذا الرجل في هذا، الزمان وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه أيقال له لم يرد على الأحمدية لم لا تعدل في القسمة لم تدخل على الأمراء لم تقرب زيدا وعمرا؟! أفلا يستحيي العبد من الله؟! يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبء الثقيل.

وقبل كده شفنا في الرسالة في الأسبوع الماضي أن الرسالة فيها دعونا من ذكر بدعة الخميس والبخور وكذا وكذا، فهم كانوا يحرضون على أن يتركنا في حالنا يعني ما تقعدش تنتقدنا وتشنع بنا، يقصد القلندرية، شيخ الحزاميين يقول لهم: تتركوا كل الإنجازات التي ينجزها ابن تيمية والفروض الكفائية التي يقف على ثغورها ثم تمسكون في هذه المسائل؟!

يقول: أفلا يستحي العبد من الله يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة مثل هذا العبء الثقيل ولو حوقق الرجل على هذه الجزئيات وجد عنده نصوص صحيحة ومقاصد صحيحة ونيات صحيحة، تغيب عن الضعفاء العقول بل عن الكمل منهم حتى يسمعوها.

أما رده على الطائفة الفلانية –طبعًا غالبًا هيكون منها القلندرية الذين ينتمي إليهم ابن السراج وأما رده على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه الذي لا يدري ما يقول، أفيقوم دين محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- الذي أنزل من السماء إلا بالطعن على هؤلاء وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل لا يقول مثل هذا إلا تائه أو مسن أو حاسد.

وكذا القسمة للرجل في ذلك اجتهاد صحيح ونظر إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم كما خص الرسول الطلقاء بمائة من الإبل وحرم الأنصار حتى قال منهم أحداثهم شيئا في ذلك لاذووا أحلامهم، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ما قال وأما دخوله على الأمراء، بيفتشوا على ابن تيمية أي حاجة يمسكوا عليه يقولوا ده بيدخل على الأمراء ودي الفتنة عند أبواب السلاطين وكذا وكذا.

فبيقولوا: وأما دخوله على الأمراء: فلو لم يكن كيف كان شم الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص ولو فتش المفتش لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة الدين ومعرفة المنافقين إنما اقتبسوها من صاحبكم.

ده التدين الموجود في الأمراء السبب فيه مين؟ أنه كان يذهب إليهم وينصحهم ويعلمهم، وأما تقريب زيد وعمرو فلمصلحة باطنة لو فتش عنها مع الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة ونفرض أنك مصيب في ذلك إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء والخطأ جار على غيرهم، أيذكر مثل هذا الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام؟! لا يذكر مثل هذا في كراسة ويعددها ثم يدور بها على واحد واحد كأنه يقول شيئا إلا رجل يُسأل الله العافية في عقله وخاتمة الخير على عمله وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب، بحيث لا يبقى معشره يعيبه بعلمه وتصنيفه من أولى العقول والأحلام.

دي إشارة لكلام وجد في كتابة رسالة ابن شيخ الحزاميين يدل على أن في شخص معين أو أشخاص كانوا يكتبوا كراسات يطعنوا فيها ابن تيمية ويعملوا حرب نفسية.

فبيقول هنا الخونوي: ويخال أنك ستوافقني القول في احتمال كون ابن السراج هو الشخص المعني في كلام ابن شيخ الحزاميين، الذي ذكر أن أحدهم ألف في ابن تيمية كراسة يذمه فيها، مع ذكر فضائل له تعمية لسوء نيته، وجعل يدور بها على بعض محبي ابن تيمية ويقرأها في خلوة عليهم.

كانت عقلية ابن السراج خرافية، بيقول مثلا من ضمن الحاجات هذا الشيخ وقع نظره على أبيه وجده فأفلحا به غاية الفلاح، أيضًا ابن تيمية فيما يبدو كان يرد على ابن السراج وأمثاله، فقال: هؤلاء يعمدون إلى الصبيان، ويربونهم على التوله تربية ويعودونهم الخروج عن العقل والدين عادة كما يعود الأنبياء والصالحون أتباعهم ملازمة العقل والدين.

أيضًا كان يقبل كل ما ورد من خزعبلات أوليائه وإن خالفت العقل والدين، فقد صدق ابن السراج صدق إن هناك شجرة إن أكل من ورقها الشيخ الهرم عاد شابًا يافعًا، مجرد إنه يأكل ورق شجر يرجع ايه لو هو في ستين يرجع مثلا لعشرين، ودي حاجة تصادم الحديث الصحيح، «ما أنزل الله داءًا إلا أنزل هل دواءًا إلى الهرم» الشيخوخة.

فصدق أن هناك شجرة إن أكل منها الشيخ الهرم عاد شابًا يافعًا، وأن شيخًا صوفيًا تحول جسده إلى ذهب وهاج، وأنه أعطى شخصًا قطعة من جسده الذهبي، وأن شيخه تاج الدين الرفاعي نزل مرة إلى نهر دجلة ليغتسل، وغاص.

طبعًا غاص من غير بقى آلات الغوص النفس والأكسجين ماكانتش موجودة، فالمهم غاص في الماء، نزل مرة إلى نهر دجلة ليغتسل وغاص وبقي في الماء حتى خاف عليه من كان معه فلما صاحا مستغيثين، صرخوا بقى بيطلبوا الاستغاثة الشيخ دخل غطس ما طلعش، فلما صاحا مستغيثين طلع إليهما، قال: يا أولادي والله وجدت تحت الماء 77 طائفة من الجن وشرعت أتوبهم وأقص شعورهم وأنتم أزعجتموني وكان في يده كثير من شعور الجن، ده في كتاب التشويق.

وكان يصدق بوجود الغول، لأن كرامة لأحد أوليائه ورد فيها ذلك، الحقيقة موضوع الغول في هنا كتاب هو عامله الأخ الفاضل الشيخ مشهور حسن سلمان حفظه الله، اسمه: (الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي).

هو ذكر هنا كلام في موضوع الغول، خلاصة الكلام هو بيقول: ما ينبغي إنكار موضوع الغول إنكارًا كليًا لأن في أدلة استدل بها من نفى وجود الغول، وفي أدلة استدل بها من أثبته الأدلة دي فيها إثبات وجود الغول الغول هو جن من الجن الشيطان زي مثلا في حديث الصحابي أبي هريرة الذي كان يسرق التمر من الصدقة، أهو ده غول يعني جن بس مش أكتر من كده.

أيضًا في حديث آخر تقرأ آية الكرسي **... إلى آخره**، فدي الأحاديث التي ايه؟ هو ده معنى الغول أنه من الجن.

أما أدلة النفاة فاستدلوا ببعض الروايات فيها لا عدوة ولا طيرة ولا غول، ففيها لا غول، فاختلف العلماء في معنى قوله لا غول، على ثلاثة أقوال، الأول: أن الغول شيء يخوف به، ولا وجود له، إن الغول شيء خرافي، زي العنقاء كده، ده أول كلام، قالوا: إن لا غول يعني ما فيش أصلا غول ده شيء له اسم وليس له جسم، يخوف به ولا وجود له، كما قال الشاعر:

لما رأيت بني الزمان وما بهم \*\*\* خل وفي للشدائد أصطفي

أيقنت أن المستحيل ثلاثة \*\*\* الغول والعنقاء والخِل الوفي

لما رأيت بني الزمان وما بهم، ما بهم يعني ليس بهم

خل وفي للشدائد أصطفي

أيقنت أن المستحيل ثلاثة \*\*\* الغول والعنقاء والخِل الوفي

يعني معناه إن ده مستحيل فالغول والعنقاء مستحيل مش موجود، وقال آخر:

الغول والخل والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

مشكلة موضوع الغول زي ما انتوا شايفين موضوع بسيط إن الغول ده الجن خلاص، جن وبس مش أكتر من كده هو بس الأساطير الشعبية بقى والحكايات الشعبية دخلت بقى تصور في مبالغة كثيرة جدًا في موضوع الغول وده المقصود بالنفي، يعني لما أحد يقول لا غول يعني المقصود لا غول بالصورة التي أنتم تتصوروها.

إذًا ده القول الأول إن لا غول يعني لا وجود له، إنه مستحيل مافيش حاجة اسمها غول.

القول الثاني: إن الغول كان موجودًا، ثم رفعه الله تعالى، وده ذهب إليه الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى.

القول الثالث: يقول الشيخ مشهور هنا وهو القول المختار، يقول: وذهب جمهور العلماء أن قوله -صلى الله عليه وسلم-، لا غول ليس معناه نفي الغول عينًا، وإبطالها كونًا وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها، الخرافات بقى اللي دخلت والأساطير لا غول يعني التصور الذي تصورونه فيه مبالغة عن الغول، اللي هي تغولها واختلاف تغولها في الصور المختلفة، اللي يشوف المعزة تعمل ايه وتتحول لكذا، ويدخل من الناحية الثانية يتحول لشيء ثاني، هذه الخرافات وهذه الأساطير الشائعة بالذات في العوام، وشائعة أصلا عند العرب في الجاهلية.

تغولها واختلاف تلونها في الصور المختلفة وإضلالها الناس عن الطريق وسائر ما يحكون عنها، فدي أشياء لم تثبت شرعًا ولا عقلًا ولا اختبارًا، ولا إن الغول بيأكل الناس زي برده إن في الأساطير دي، ولا إنهم تظهر لهم في الفيافي والقفار، كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طور الجهل والخرافات، كذلك نفى النبي -صلى الله عليه وسلم- الغول مع نفي الهامة والسفر والطيرة العدوة.

مع أن النبي عليه الصلاة والسلام أثبت العدوة وأمر من الفرار من المجذوم وذلك محمول على ما كانت تزعمه الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك، كما في الحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وفي الحديث «لا يورد ممرض على مصح»، وقيل في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»، وكل ذلك بتقدير الله تبارك وتعالى.

إذًا النفي هنا لا ينصب إلى العدوة ولكن ينصب إلى ما كانت تعتقده الجاهلية، نفس الشيء في الغول، يقول ابن جرير أبطل النبي -صلى الله عليه وسلم- من قوله: «لا غول» ما كان أهل الجاهلية يقولون في الغول، من أنها تضر وتنفع، أو تقدر لبني آدم على ذلك إلا ما قد سبق من قضاء الله جل ثناؤه لمن كان سبق له بضرها إياه فأما بغير ذلك فإنها غير قادرة على ذلك.

إذًا لا التي لنفي الجنس لا غول، نفي للذات فلما كانت الذات موجودة اللي هي العدوة والطيرة **... إلى آخره**، فإذًا لما نقول بقى لا غول لا عدوة لا طيرة لا كذا، يبقى المقصود نفي صفاتها ليس نفي الذات.

فنفي الذات لإرادة نفي الصفة أبلغ لأنه من الكناية، وكانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات وهي من جنس الشياطين فتتراءى للناس وتتلون ألوانًا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطل النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك، بقوله: «لا غول» يبقى بينفي الأساطير التي كانت مشهورة عند أهل الجاهلية.

عمل فصل بعد كده برده بيتكلم عن إن العرب كذبت كذبًا شديدًا جدًا في موضوع الغول عندهم أساطير كثيرة، كانت عن موضوع الغيلان يزعمون أنها كانت تتراءى لأحدهم في الفلاء فيتبعها يمشي وراها فتستهويه وربما ادعى أنه قابلها وقاتلها، كشعر تأبط شرًا:

ألا من مخبر الفتيان فهم بما لاقيت عند رحان بطحان بأني قد لقيت الغول تهوي بسهم كالصحيفة صحصحان فقلت لها كلانا نضو أرض أخو سفر فخلي لي مكاني، فشدت شدة نحوي فأهوت لها كفي بمصقول يماني، فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجيران

دي نقدر نعليها أنها نوع من الهلاوسة البصرية، ممكن لما بيمشوا في الصحراء وبتحصل خلل معين بحيث أنه يرى أشياء بتتهيأ له نوع من الهلاوس ملهاش حقيقة، بعضهم تزعم أنه تزوج من الغول بل ولدت له بنين كما قال عمرو بن يربوع، ودي قصة طويلة يعني مش معقول إننا هنحكيها بالتفصيل يعني، قصة طويلة أوي أوي يعني قصة من الخرافات الجاهلية.

أما صورة الغول في الحكاية الشعبية فهي على الأعم الأغلب تصوره على هيئة بشرية موحشة تأكل وتتكلم تحب وتأكل وتحارب وترسم له وجوهًا مرعبة وشعرًا كثيفًا وأظافر غاية في الطول وحجمًا ضخمًا وعيونًا لامعة وقدرة حركية عالية وصوتًا أجش ودهاءًا بالغًا ومعرفة غير محدودة.

وكلام العرب برده في موضوع طعام الغيلان زي الشعر المعروف حتى تجده في كتب اللغة:

لقد رأيت عجبًا مذ أمس عجائزًا مثل السعالي خمسًا

يأكلن ما أصنع همسًا همسًا لا ترك الله لهن درسًا ولا لقينا الدهر إلا تعسًا

وهكذا أشعار كثيرة جدًا عن طعام الغيلان وأماكن وجود الغيلان وبيقولوا هنا سبب كذب العرب ليه العرب كذبت في موضوع الغيلان يقول الجاحظ:

أصل هذا الأمر وابتداؤه أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الإنس استحوش ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين، والوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى أو التفكير والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة، وربما ابتلي غير واحد بذلك كأبي ياسر ومثنى وأخبرني الأعمش أنه فكر في مسألة فأنكر أهله عقله حتى حموه وداوود وقد عرض ذلك لكثير من الهند، وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير بصورة الكبير، وارتاب وتفرق ذهنه وانضت أخلاطه فيرى ما لا يُرى ويسمع ما لا يُسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل.

ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرًا تناشدوه وأحاديثًا توارثوه، فازدادوا بذلك إيمانًا ونشأ عليها الناشيء وربي عليه الطفل فصار أحدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس، وده بيحصل بنسمع الحواديت دي في الأرياف بالذات أماكن موحشة في الصحراء وكذا، فعند أول وحشة وفزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدى صدى الصوت، قد رأى كل باطل وتوهم كل زور فعند ذلك يقول: رأيت الغيلان وكلمت الثعلاء ثم تجاوز ذلك إلى أن يقول: قاتلتها، ثم يتجاوز ذلك لئن يقول: رافقتها، ثم يتجاوز لئن يقول: تزوجتها، وتجيب له كمان أولاد.

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به، ومد لهم فيه أنهم لن سيلقون في هذه الأخبار إلا أعرابيًا مثلهم، ما بيصدقهمش إلا واحد عايش في نفس الجو يعني، وإلا غبيًا لم يأخذ نفسه قط لتميز ما يوجب التميز أو التصديق أو الشك، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الأجناس قط وأما أن يلقوا رواية شاعر أو صاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أظرف عندهم وصارت روايته أغلى، ومضاحيك حديثه أكثر.

يعني بيقولوا أعذب الشعر أكذب، فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول أو قتلها أو مرافقتها أو تزويجها وآخر يزعم أنه رافق في مفازة النمر وكان يطاعمه ويآكله.

هذا يعني خلاصة الكلام في موضوع الغول، يمكن بس استطراد للمناسبة، لأن مازال بيننا تقريبًا نفس الصورة بيرسمها لأطفاله وهجيب لك الغول يأكلك، فأرجو إن إنتم ما حدش يعمل الكلام ده لأن الغول دليل ثباته الأحاديث التي جاءت به الجن، إذا أخذ صورة معينة وظهر فيها الإنسان.

لكن الغول بكل الخرافات دي الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال ايه؟ «لا غول» لا غول ظاهرة نفي الذات، لأن ده ايه لا لنفي الجنس، هو نفي الذات لكن المقصود منه الصفات المبالغ فيها والتي شاعت في أهل الجاهلية.

دي الذي قادنا للاستطراد هنا قول الشيخ القنوي هنا منكرًا على ابن السراج كان يصدق بوجود الغول، لأن كرامة لأحد أوليائه ورد فيها ذلك، وكان يبرر أيضًا تجسس بعض الصوفية وأكثر القلندرية للمغول وعمالتهم لهم.

حكى خبر أحد الرفاعية يقال له ابن قليج الرفاعي كان منبئا به أنه دخل النار أمام المغول فلما لم تضره أكرموه غاية الإكرام، وكان قد استغاث قائلًا، يعني لما دخل النار ألقى نفسه في النار، وقال: يا سر سيدي تاج الدين الرفاعي، فلم يحترق، ما حصلوش حاجة، فالمغول التتار طاروا به فرحًا، وأكرموه غاية الإكرام وأعطي مرسومًا من المغول مضمونه أنه يكرم، وإن مات في مكان يموت أهل ذلك المكان، فكان كلما حل بموضع أكرم ثم سئل الرحيل، الناس تخاف يموت عندهم.

خلاصة الكلام أيضًا إن ابن السراج حصل له نفي من دمشق من بعض أمراء المماليك ومن بعض خصومهم، لأن كان في تلاحظوا في الرسالة الذهبية برده هو بيبدأ يقول ايه؟ أول الرسالة يقول ايه:

واشوقه إلى إخوان المؤمنين يعاونونني على البكاء

يعني واحد بيتكلم ومنفي في نفي إنما واحد لو ابن الذهبي هو اللي كاتبها، والذهبي عايش مع مين بقى؟ عايش في بلد فيها ابن تيمية والمزي وابن القيم والأئمة الكبار دول مش هيستوحش كده، فده واحد حصل له نفي يعني دي من القرائن يعني، وشوقه من إخوان مؤمنين يعاونوني على البكاء، واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس.

فدي نفسية واحد يعاني من الغربة أو من النفي وده اللي حصل مع ابن السراج، إنما واحد عايش في وسط هؤلاء هيقول هذا الكلام، فالذهبي لو هو الذهبي الذهبي معقول يقول كده؟ يعيش مع هؤلاء الأئمة العظام، في نفس المدينة يعني.

لما أبعد عن دمشق من قبل بعض أمراء المماليك وبعض خصومه تكلم عن خصم له لم يسمه الغالب هو ابن تيمية، يقول: كان يرد كرامات أوليائه المزيفين على أنها من علم السمياء السحر، فده ابن السراج وهو يقول في كتاب (تفاح الأرواح) يقول: أو يقول إن ذلك من فعل الشياطين، كما اشتهر عن بعض الفقهاء في زماننا بحيث لم يبقى لأحد عقيدة في الصالحين ولا حسن ظن في المؤمنين وقد أتيت بما يقول، وحقق أن أولياء الإسلام كذبوا زغبلة أو مغرورون شيطانيًا.

وده كلام ابن تيمية فعلًا، ابن تيمية كان يعزو هذه التصرفات إلى الشياطين، اللي هي خوارق العادات، وليس أحد من العلماء يرى أن يقيم نفسه فهي مقابلته، يعني بيقول أن العلماء عند ابن السراج بيتقوا شر ان تيمية، ما بيحاولش واحد منهم يقابله أو يواجهه لم قد اشتهر عنه من كثرة المنواءات، وما تحقق عنده من حب الممارات، انتبهوا لهذا دي لها أهمية.

يقول لك: بيسكتوا عنه عشان بيتكلم كتير وواحد يقول له كلمتين يرد عليه بمائة كثرة المناوءات وما تحقق عنده من حب الممارات، هنتأمل هنا في الرسالة الذهبية بيقول له: فلا أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقد هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول يا ليته سكت، نفس الأسلوب بالضبط، يعني دي في تفاح الأرواح ودي في الرسالة الذهبية.

فبيقول له بقى: ما أظنك تقبل على قول ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقد هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول يا ليته سكت، نفس السياق كما تلاحظون لما نقارن يعني يقول: وليس أحد العلماء يرى أن يقيم نفسه في مقابلته لم قد اشتهر عنه من كثرة المناوءات وما تحقق عنده من حب الممارات وقد ارتبط عليه خلق كثير من العوام، وصار له جاه ظاهر عند جماعة من ذوي الأحكام.

أمراء المماليك منهم من كان يحب ابن تيمية جدًا، كمن ناوؤه وأتعبوه ومن عارضه أعانوه، جاه الحق ضعيف وقد الحق سخيف، والوقت يقتضي ظهور ما يجب ستره وإقامة ما يتعين كسره ولا قوة إلا بالله.

وحكى أن أميرًا مملوكيًا كان يناقش الرفاعية بقرية قطنا ويقول هؤلاء يدعون الحكم على النار وأنا لا أصدقهم، وأنا على مذهب فلان العالم المعروف، الذي لم يبغٍ منكرًا على الأولياء وغيرهم، الشاهد يعني أن الرفاعية بيعملوا مخاليق والحكم على النار واللي يدخل النار ما يحصلوش حاجة **... إلى آخره**، فده كان واحد بيقول ايه؟ أنا على مذهب ابن تيمية ده أمير مملوكي على مذهب ابن تيمية اللي هو ايه بينسب هذه الأشياء إلى الشياطين، يقول:

وقد علمنا من المصادر التي ترجمة لشيخ الإسلام أن بعض أمراء المماليك كانوا يحبونه ويعظمونه بل إن السلطان الناصر كان يحترمه ويعزه، وتأمل قوله الذي ذكر فيه رواج مصنفاته عند السوقة والسلاطين، بيقول ايه بقى ابن السراج؟

وهذا عكس ما يقوله بعض علماء زماننا، إذ قد جعلوا هؤلاء وأمثالهم من الشياطين وأكثر في ذلك مصنفات متنوعة راجت عند السوقة والسلاطين، فأقل ما يقول: إني لم أقدح إلا من كان على غير الكتاب والسنة، فيصغي السامع على قوله، ثم يشرع فيقدح الكل ويتعدى إلى المشايخ الكبار الذين وقع الاتفاق على ولايتهم وصاروا ربانيي هذه الأمة.

يقولوا: لا كالذي يأخذ الأشياء بالعنف والغلظة وعدم الرفق وكثرة الشقشقة واللقلقة ودعوة التمعلم والتحذيق والفوز بالدرجة العليا والكلام على السابقين، والرد على الأئمة السابقين بغير خبرة ولا دراية تصلح للعارفين مثل من أنكر على مشهد الحسين، والست نفيسة **رضي الله عنه**ما بالديار المصرية فلا يلتفت أحد إليه، وكان الصواب معه.

من اللي أنكر المعروف؟ كلام ابن تيمية في موضوع مشهد الحسين له رسالة مستقلة في رأس الحسين وابن تيمية لم يأتي ببدع من القول في هذا، لأن هذا المشهد وهمي، الحسين ما دفن في مصر ويمكن إذا كنتم تذكرون نقلت لكم كلام عبد الوهاب الشعراني لما كان يتناقش مع واحد وبيقول له إن المشهد ده مزور الحسين مش مدفون هنا، ولا راسه ولا أي حاجة، قال له: إن الإمام الطبري نفى وأثبت كلام علمي دقيق يثبت أن الحسين لم يدفن في مصر إطلاقًا، فقال له: نروح نزوره بالنية يعني نزوره بالنية هو مش مدفون اه والعلم بيقول كده بس نزوره بالنية فأول ما دخلوا في المشهد الحسيني فأخذته غفوة كده وفجأة ورأى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كأن واحد بيقول له يا رسول الله هذا عبد الوهاب الشعراني والشيخ فلان قد أتى ليزورا ابنك الحسين، فقال النبي عليه الصلاة والسلام تقبل الله منهما، بعد العبارة دي على طول بيقول ايه؟ ده في مختصر التذكرة للقرطبي الشعراني فبيقول: إياك يا أخي أن تنكر إن الحسين مدفون في هذا المكان **... إلى آخر هذا الكلام، فهو بيبنيه على المنام اللي شافه ده.**

**فأدي الأسلوب القومي بيقول لك مثل من أنكر على مشهد الحسين، هل من يتكلم في هذا بغير خبرة ولا دراية كما يقول مثل من أنكر على مشهد الحسين والست نفيسة رضي الله عنهما بالديار المصرية، فطبعًا معروف إن ده المقصود به شيخ الإسلام ابن تيمية.**

**ففي عبارة عارضة كده بالنسبة لكلمة الست، الست بس لأنها بتستعمل كتير لما يقول واحد لواحدة مثلا يا ستي مش مقصود يا سيدتي يعني يا ست جهاتي، يعني كأنه مثلا يحبها وأنها محيطة به من كل الجهات الجهات الستة فوق وتحت ويمين وشمال وإلى آخره، فدي معنى يا ستي.**

**أو أنها لحن كما جاء في القواميس، وإن كان في واحد الشيخ اسمه محمد كمال الدين الأدهمي بيتكلم يقول ايه هنا؟ فصل في أن الرجل سيد زوجته وليست هي سته، ده شيء من المُلح بنتخم الكلام بها.**

**فبيقول هنا: إن القرآن الكريم يوصف على أنه سيد {** **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ }، يقول: له أن يقول لها في النداء احترامًا يا ست، لأنها سيدة من في البيت، وفي الأخبار بأن يقول: جاءت الست والست غائبة**، وأما نداؤها أو الإخبار عنها بالإضافة إلى ياء المتكلم فهو من صنيع المصرين خاصة، يعني كلمة ستي صنيع المصريين خاصة أخذوه بالتوارث المتصل إلى زمن الفراعنة.

قال الشيخ أحمد بن سلامة القليوبي في كتابه المسمى نوادر القليوبية، ما حصله؟ ولما أغرق الله فرعون وجنوده في اليم، بقيت النساء بلا أزواج فعمدت إلى التزوج بخدمهن فكان الخادم مع كونه زوجًا لا يخرج عن مقام الخدمة بل كان خادمًا يؤدي الواجب عليه، ويعبر عن زوجته بلفظ ستي، واستمر هذا الخطاب جاريًا إلى زماننا هذا، ولا تجد كبيرًا ولا صغيرًا يتحاشا أو يترفع عن أن يقول عن زوجته ستي نداءًا وإخبارًا، وهو تواضع منه في غير محله وتغيير لوضع الله تعالى كما ذكرته آنفًا، ولكن بالنظر لتسلط النساء على الرجال وهو في مصر أكثر منه في غيرها، لم يجد الرجال تخلصًا ولا تملصًا من قول ستي مهما كان الرجل عظيمًا، وهو ما لا يتوافق مع مقام الرجولة ولكن وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فإن شاء أعلاها وإن شاء سفلها.

المعلق هنا يقول: لم أدري من أين جاء حضرت المؤلف بذلك، ونحن في مصر نشاهد رجالها ونساءها ولم نسمع أن أحد الأزواج يقول لزوجته يا ستي، بل الغالب نداؤها باسمها المجرد إلا أن يحكي عنها فيقول الست بتاعتي، وللخادم أرسل هذا للست، وأما اعتماده على ما ذكر القليوبي فقد يكون في غير محله، وفي مختار القاموس المحيط ستي أي يا ست جهاتي، نوع من المدح أو لحن فده بالنسبة لاستعمال كلمة الست نفيسة **رضي الله عنه**ما بالديار المصرية.

هذه طبعًا ليست من صلب الكلام ولكنها من المُلح نختم بها الكلام أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

جزى الله الشيخ خير الجزاء، ونفعنا وإياكم بما سمعنا من العلم ونسأل الله جل وعلا أن يرفع مكانة الشيخ في المهديين، وأن يجعله علمًا من أعلام الهدى والدين ولا تنسوننا وتنسوا الشيخ من دعوة صادقة بظهر الغيب، وتقبلوا تحيات إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح بالأسكندرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.